كلية التربية
قسم اللغة العربية والدراسات
الإسلامية

الـوقف عنـد ابـن جنـي

" دراسـة صوتيـة دلاليـة "

للحصول على درجة الماجستير في إعداد المعلم في الآداب

تخصص اللغة العربية

بحث مقدم مـن الطالـب

محمد أحمد محمد أحمد

إشـراف

أ.د. أحمد محمد عبد العزيز كشك
رئيس قسم النحو والصرف والعروض
بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة

د. طارق محمد عبد العزيزالنجار
أستاذ مساعد النحو والصرف والعروض
بكلية التربية – جامعة عين شمس

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الفصل الأول

الظواهر الصوتية المتصلة بالوقف

تمهيد :

تميزت اللغة العربية الفصحى بأنها جعلت للصوت حال الوقف أحكامًا تختلف عنها فى حال الوصل ، ولا شك فى أن هذا التغاير ناتج عن إدراك الناطق بهذه اللغة أنهما مقامان مختلفان . فالوصل استمرار فى الأداء اللغوى على حين أن الوقف هو انقطاع ذلك الأداء بالصمت . فالعلاقة بين الوصل و الوقف تشبه تلك العلاقة بين الحركة والسكون ؛ والمقصود ههنا بهاتين الكلمتين ما تحملانه من معنى لغوى ، فالحركة حدث نشط ، وذلك حال المتكلم إذا وصل كلامه . والسكون هوانعدام ذلك النشاط وتوقفه ، ومن ثم فإنه لا يبدو من قبيل المصادفة أن يرتبط الوصل بمصطلح الحركة عند اللغويين ، والوقف بمصطلح السكون . ويمكن أن تتضح تلك العلاقة أكثر إذا ما تأملنا الفارق بين الصامت والحركة ، فالصوامت لها من السمات والملامح ما يجعلها الوحدة الأساسية فى الكلام ؛ إذ هى أكثر فى عددها من الحركات وأعقد فى تكوينها منها ؛ فهى تتمايز فيما بينها بناء على عدة عوامل منها مكان حدوث الإعاقة من أعضاء النطق للهواء الخارج من الرئتين ، وذلك ما يعرف بالمخرج . وكيفية مرور الهواء عند النطق بالصوت المعين ، ويقصد بذلك درجة الإعاقة أهى تامة أم جزئية ، وذلك ما قسمت على أساسه الصوامت إلى احتكاكية ، وانفجارية ، وبينية . وكذلك وضع الوترين الصوتيين ، وهذا ما جعلها بين مجهور ومهموس . ([1]) وغير ذلك . ([2])

أما الحركة فهى أقل تعقيدًا وأكثر بساطة ؛ إذ يمر الهواء من الفم حرًا طليقًا فى أثناء النطق بها ، دون عائق أو مانع يقطعه أو ينحو به نحو منافذ أخرى كجانبى الفم أو الأنف ، أو دون تضييق لمجراه فيحدث احتكاكًا مسموعًا . كما أن الوترين الصوتيين يأخذان وضعًا واحدًا فهما يهتزان عند النطق بالحركات

---

[1]) وتستثنى الهمزة ؛ إذ ليست بالمجهورة ولا المهموسة ؛ فعند النطق بها ينطبق الوتران انطباقًا تامًا فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق ثم ينفرجان فتخرج . ينظر فى ذلك : علم الأصوات د/ كمال بشر ص ١٧٥

[2]) ينظر : علم اللغة مقدمة إلى القارئ العربى د/ محمود السعران ص ١٦٠ ، وما بعدها

جميعها . وتتميزالحركات عن بعضها من خلال شكل الشفتين، ووضع السان ، مدى اتساع مجرى الهواء .([1])

وإذا كان الكلام سلسلة متصلة من الصوامت والحركات ، فإن لكل منهما وظيفته اللغوية ؛ فلأن الحركات تتميز بقوة الوضوح السمعى إذا قيست بمجمل الأصوات الأخرى فهى تحمل الآثار الموسيقية للنبر ، ودرجة الصوت ، وهى أكثر الأصوات موسيقية أو قبولا للغناء لإمكانية تطويلها على وجه يطرب السمع ، وفضلا عن ذلك فإنها تساعد على وصل الكلام ، وكأنها تملأ الفراغ الذى يكون بين الصوامت ، فيساعد ذلك على مواصلة الكلام بدون انقطاع . ([2]) ويتضح من ذلك أن الحركة ذات قيمة صوتية ملموسة فى الوصل . أما الوقف فينقطع معه المتحدث عن الكلام ، ومن ثم فالعلة التى من أجلها كانت الحاجة ماسة إلى الحركة فى الوصل قد انتفت فى الوقف .

ويمكن أن نستنتج مما سبق أن أهم الأحكام التى تميز الصوت عند الوقف هو حذف حركته ، وذلك ما استدعى عناية كثير من اللغويين ومنهم ابن جنى لدراسة هذه الظاهرة ؛ إذ الصوت الموقوف عليه لابد أن يكون آخر الأصوات فى الكلمة ، فحركته التى يسلبها الوقف . فى أغلب الأحوال . هى الحركة الإعرابية التى منحوها عناية فائقة ؛ إذ اعتقدوا أنها أهم القرائن الدالة على المعانى النحوية المختلفة التى تعتور الاسم من فاعلية ، أومفعولية ، أو إضافة ، إلى غير ذلك وقد صرح بذلك أبو القاسم الزجاجى إذ يقول : " فإن قال قائل : قد ذكرت أن الإعراب داخل فى الكلام ، فما الذى دعا إليه واحتيج إليه من أجله ؟ فالجواب أن يقال : إن الأسماء لما كانت تعتورها المعانى ، وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافًا إليها ، ولم يكن فى صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعانى ، بل كانت مشتركة ، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعانى .([3]) " فكون الحركة

---

[1]) ينظر : علم الأصوات د/ كمال بشر ص ٢١٥، وما بعدها
[2]) فطن من اللغويين القدماء إلى هذه الوظيفة للحركة قطرب . ينظر فى ذلك : الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ص ٧٠
[3]) الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ص ٦٩

المحذوفة فى الوقف هى الحركة الإعرابية عظم من الأثر الذى يسببه الوقف فى الكلام لا من ناحية الأصوات فحسب ، بل من ناحية التركيب والدلالة أيضًا ، فكان ذلك مؤذنًا بأن تزيد عنايتهم به .

وجدير بالذكر أن أحكام الحذف المتعلقة بالوقف فى العربية الفصحى لم تقتصر على حذف الحركة الإعرابية لكن كل حركة قصيرة سواء أكانت حركة إعراب أم حركة بناء ؛ إذ يأبى العربى الوقف على المقطع المفتوح بحركة قصيرة . أما الحركات الطويلة فإنهم يقفون عليها من غير حذف فى أكثر الأحوال ، وإن حكموا بحذفها أحيانًا ، وقد ذكر ابن جنى من ذلك حذفهم لياء المنقوص ، نحو قولهم فى الوقف : هذا قاضْ ، ومررت بقاضْ . وحذفهم لها اتباعًا لخط المصحف كمن يقف على (سندع) من غير واو لضرورة انقطاع النفس عند قراءة قوله تعالى : چ ئو ئو چ ([1]) .

ومن قضايا الحذف المتعلقة بالوقف فى العربية الفصحى ما يختص بالصوامت ، مثل حذفهم للتنوين عند الوقف على الاسم المتصرف حالتى الرفع والجر .

وإذا كان الحذف هو أهم ما ميزالصوت الموقوف عليه فى الفصحى فإن ثمة أحكامًا أخرى تعلقت بالإبدال مثل إبداهم التنوين ألفًا عند الوقف على المنصوب المنون ، نحو قولك فى الوقف : رأيت زيدا ، وإبدال تاءالتأنيث المتحركة هاء ، فيقولون فى الوقف على شجرة : شجرهْ . ومن الأحكام ما اقتضى الزيادة مثل وقفهم بزيادة هاء السكت نحو: چ ٹ چ ([2])، چ ہ چ([3])

---

[1]) سورة العلق الآية ١٨
[2]) سورة الحاقة الآية ١٩
[3])) سورة الحاقة الآية ٢٠

ويتناول هذا الفصل موقف ابن جنى من هذه التغيرات الصوتية التى تطرأ على الصوت عند الوقف عليه فى العربية الفصحى ، وسوف يكون ذلك . إن شاء الله . من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : يعالج مسائل الوقف بالحذف فى العربية الفصحى ، وهى تنقسم قسمين ، **الأول** : حذف الحركة نحو: الوقف بحذف الحركة القصيرة ، وحذف صلة ضمير الغائب المذكر ، حذف ياء المنقوص ، حذف الحركة الطويلة اتبعًا لخط المصحف .

والآخر : حذف الصامت نحو : حذف التنوين .

المبحث الثانى : وفيه مايتعلق بالإبدال نحو : إبدال التنوين ألفًا فى حالة النصب ، وإبدال تاء التأنيث المتحركة هاء .

المبحث الثالث : ويتناول الوقف بالزيادة فى مسألة واحدة عالجها ابن جنى ، هى الوقف بزيادة هاء السكت .

المبحث الأول
الوقف بالحذف

أولا: الوقف بحذف الحركة القصيرة :

يمثل الوقف بالسكون (بحذف الحركة القصيرة) الصورة الأساسية من صور الوقف في لغة النثر في العربية الفصحي يقول ابن يعيش : " فالسكون هو الأصل والأغلب والأكثر . " ([1]) وليس أدل علي ذلك من أن القرآن الكريم وهو أفصح النصوص العربية وأوثقها . يُلْتَزَم فيه الوقف بالسكون إلا مع المنصوب المنون ، فيوقف عليه بالألف قال ابن الجزري : " اعلم أن من عادة القراء أن يقفوا علي أواخر الكلم المتحركة في الوصل بالسكون لا غير ؛ لأنه الأصل " ([2]) .

فظاهرة الوقف بالسكون تلك التي روعيت في القرآن الكريم مثل هذه المراعاة " لم تكن أمرًا عابرًا أو عارضًا يمثل ناحية متواضعة من نواحي اللغة، بل كانت صفة من الصفات التي انتظمت معظم القبائل العربية وجرت علي ألسنتهم جميعًا ، ولم تكن تقل أهمية أو فصاحة عن ظاهرة تحريك أواخر الكلمات في حالة الوصل ، بل لم تكن أقل شيوعًا ودورانًا في أفواه الناس من ظاهرة الوصل ([3]) .

وقد دعا ذلك بعض الباحثين المحدثين إلي القول بأن شيوع الوقف بالسكون ، أو بعبارة أدق سقوط الحركات القصيرة من أواخر الكلمات في حالة الوقف لأكبر دليل علي أن الأصل في الكلمات ألا تكون محركة الآخر ، وأن ما

---

[1]) شرح المفصل لابن يعيش ٦٧/٩ .
[2]) تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة لابن الجزرى ص ٧٥ .
[3]) من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ص ٢٣٦ .

حرك منها في وصل الكلام كان لأسباب صوتية دعا إليها الوصل ([1]) . وقد ألمح إلي مثل ذلك من القدماء (قطرب) ، إذ يقول : " وإنما أعربت العرب كلامها ، لأن الاسم في حالة الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضًا ، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل ، وكانوا يبطئون عند الإدراج ، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقبًا للإسكان ، ليعتدل الكلام ، ألا تراهم بنوا كلامهم علي متحرك وساكن ، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ، ولا في حشو بيت ولا بين أربعة أحرف متحركة ، لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون ، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون ، وتذهب المهلة في كلامهم فجعلوا الحركة عقب الإسكان . ([2]) "

وعندي أن القول بأن الأصل في الكلمات أنها كانت ساكنة الأواخر في الوصل والوقف ، وأن تحريك أواخرها في الوصل جاء بعد ذلك لغايات صوتية ودلالية قول لا دليل عليه ؛ إذ هو بحث في أغوار مجهولة تتعلق بنشأة اللغة وأطوارها . غير أن ذلك القول يعد أقوي احتمالاً من نقيضه إذا ما افتراضنا أن ثمة لغة أُمًّا انحدرت منها تلك اللغات التي عرفت تحريك الأواخر ؛ إذ يسلم بأن نشأة اللغة صارت من البساطة إلي التعقيد ، فلا يظن مثلا أن هذه الحركات الإعرابية التي تلحق بأواخر الكلمات عند الوصل في اللغة العربية والتي تختلف (ضمًا ، وكسرًا ، وفتحًا) باختلاف المعني النحوي الذي تحمله الكلمة داخل التركيب من فاعلية ومفعولية إلي غير ذلك قد عرفتها اللغة الأم في طور نشأتها .

وما يعنينا هاهنا هو أن الدراسات اللغوية الحديثة قد أكدت على أن اللغة السامية الأم التي انحدرت منها العربية وأخواتها من اللغات السامية قد عرفت الإعراب ؛ إذ ثبت وجوده كاملاً في لغتنا العربية ، وفي الأكادية التى تشمل اللغتين البابلية والآشورية في عصورهما القديمة . وهذا قانون (حمورابي)

---

[1]) Sanhi phenomena نقلا عن " من أسرار اللغة " ص ٢٤٩ .
[2]) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص٧٠ .

(١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م) المدون باللغة البابلية القديمة يوجد فيه الإعراب كما هو في اللغة العربية الفصحي تمامًا ، فالفاعل مرفوع ، والمفعول به منصوب ، وعلامة الرفع الضمة ، وعلامة النصب الفتحة وعلامة الجر الكسرة تمامًا كما في العربية . وتوجد حالات الإعراب كذلك في اللغة الأوجاريتية ، وأيضًا في الحبشية ؛ إذ تظهر فيها حالة النصب التي تطابق من الناحية الإعرابية نظيرتها في اللغة العربية إلي حد كبير . هذا وفي اللغات السامية الأخرى عدا الأكادية والأوجاريتية والحبشية بقايا حقيقة وأخري مظنونة من حالات الإعراب التي كانت موجودة في اللغة السامية الأم . ([1])

فاللغة العربية إذن قد عرفت تحريك الأواخر في الوصل (الحركات الإعرابية) علي أن ذلك أحد خواصها التي ورثتها عن اللغة السامية الأم ومن ثم فلا يظن أن العربية منذ أول ظهورها كلغة قائمة بذاتها كانت بغير تلك الحركات التي تتصل بأواخرها في الوصل . وهي اللغة الوحيدة التي احتفظت بالإعراب كاملاً إلي اليوم من بين اللغات السامية ، وإن شاع سقوطه علي ألسنة الكثير من الناطقين بها فضلا عن سقوطه بالفعل في لهجاتها المعاصرة . وقد كان ذلك تباعًا لسقوطه في كثير من اللغات السامية " والسبب الرئيسي في هذه الظاهرة هو شيوع الوقف بالسكون علي أواخر الكلمات في اللغات السامية كما هو معروف لنا في العربية الفصحي في غالب الأحوال، ومن المعروف في التطور اللغوي أن الظاهرة اللغوية إذا كان لها وجهان كان الاحتمال قائمًا في غلبة أحد الوجهين ، وهذا هو ما حدث هنا ، فقد تغلبت حالة الوقف علي حالة الوصل ، فساد تسكين الأواخر وصلاً ووقفاً ، وهو إجراء الوقف مجري الوصل . ([2]) "

الوقف والسكون :

---

[1]) ينظر في ذلك : فصول في فقه العربية ص ٣٨٢ وما بعدها .
[2]) نصوص من اللغات السامية د/ رمضان عبد التواب ص ١٤٦ .

السكون في اللغة ضد الحركة و " سكن الشيء يسكن سكونًا إذا ذهبت حركته ... وكل ما هدأ فقد سكن كالريح ، والحر ، والبرد ونحو ذلك . وسكن الرجل : سكت ، قيل سكن في معني سكت ... وسكن هدأ بعد تحرك . ([1]) "

ويعد السكون المصطلح المقابل للحركة ، وهو ليس صوتًا ، وإنما هو علامة عدمية تدل علي خلو الصوت الصامت من الحركة . وعلي الرغم من أن صفته الصوتية هي العدمية فإنه يؤدي وظيفة مماثلة للحركة التي لها صفة وجودية ، فكما جعلوا الضمة علامة علي الرفع ، والفتحة علامة علي النصب ، والكسرة علامة علي الجر جعلوا السكون علامة علي الجزم ([2]) ، فهوإذن " وحدة في النظام الصوتي للغة العربية يقف في مقابل الحركة أيّا كانت هذه الحركة ، فتحة كانت أو كسرة أو ضمة ، فتكون بينهما قيمة خلافية فالنظام الصوتي يشتمل علي السكون بهذا الوصف . ([3]) "

فالمعني اللغوى والاصطلاحي كلاهما يدلان علي المناسبة بين الوقف والسكون، فالوقف " يدل علي انتهاء النطق وانقضائه ، أو بعبارة أخري الوقف هو أول مرحلة انعدام النطق والصوت ، أي يمثل (موقعية النهاية) فاختاروا العلامة العدمية . السكون . ليدلوا بها علي أول انعدام النطق . ومن هنا يصح أن نقول : إن الوقف في أكثر حالاته شيوعًا أمر عدمي ، وعلامته عدمية ، أما الوصل فهو أمر وجودي وعلاماته . أي الحركات . وجودية أيضًا . ([4]) " لذلك أرجع بعض الباحثين الوقف بالسكون إلي " كراهية توالي الأضداد أو كراهية التنافر " ([5]) أي

---

[1]) اللسان : سكن .
[2]) الجانب الصوتي للوقف د/ أحمد طه حسانين ص ٤٢ .
[3]) اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان ص ٢٩٥ .
[4]) الجانب الصوتي للوقف ص ٤٣ .
[5]) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٧٠ .

تنافر الوقف والحركة ؛ إذ الحركة مظهر من مظاهر الاستمرار في الأداء النطقي علي حين أن الوقف يدل علي انتهائه .

وقد فطن ابن جني إلي تلك المناسبة بين الوقف والسكون إذ يقول : " الأصل الأول (ق و ل) وهو القول . وذلك أن الفم واللسان يخفان له ويقلقان ويمذلان به وهو بضد السكوت الذي هو داعية إلي السكون ، ألا تري أن الابتداء لما كان أخذًا فى القول لم يكن الحرف المبدوء به إلا متحركًا ، ولما كان الانتهاء أخذًا في السكوت ، لم يكن الحرف الموقوف عليه إلا ساكنًا . ([1])" فابن جني يؤكد من خلال كلامه السابق أن الوقف يناسبه السكون ؛ إذ الوظيفة الصوتية التي تؤديها الحركة القصيرة في أواخر الكلمات من متطلبات الوصل .

وفضلاً عن ذلك فإنه لما كانت الحركات القصيرة توصف بالانطلاق ؛ إذ لا يعوقها عائق في مجري الحلق والفم ، وتوصف بكونها مجهورة كان العبء الذي يتحمله الجهاز النطقي في إنتاجها متقاربًا ، وصار من المعقول أن يتجه الناطق إلي التخلص منها دون تفرقة بينها في موقعية النهاية ، ويستعيض عنها بتلك القيمة الخلافية المسماة بالسكون التي تتواءم مع الغرض العام من الوقف ([2]) . فآخر الكلمة كما أوضح ابن جني " موضع الوقف ومكان الاستراحة والأون ([3]) ، وفي رأيه كذلك أن جنوحهم إلي تخفيف الآخر أمر بدهي " من قِبَل أن المتكلم في أول نطقه أقوي نفسًا ، وأظهر نشاطًا . ([4]) "

وعلي الرغم من أن الوقف بالسكون يتفق مع الذوق العربي الذي يستحسن أن يكون المقطع الموقوف عليه مغلقًا فإن ذلك من شأنه أن يضعف الصوت الموقوف عليه؛ إذ يفقد هذا الصوت حركته ، وفقدانها في حد ذاته إضعاف له ،

---

[1]) الخصائص ١/٥ .
[2]) الجانب الصوتي للوقف ص ٤٤ .
[3]) الخصائص ٢٣٣/١.
[4]) الخصائص ٥٦/١ .

فضلا عما يؤدي إليه ذلك في كثير من الأحوال من نقل النبر من مقطعه إلي المقطع الذي قبله ، وقد شرح ذلك الدكتور إبراهيم أنيس حين قال : " والذي نلحظه بوجه عام أن اللهجات العربية تميل في حالة الوقف إلي نقل النبر إلي المقطع الذي قبله ، فحين نقف علي الأمثلة الآتية : (يكتب ، خالد ، مستفهم) نلحظ أن النبر ينتقل من المقاطع الآتية (تُ . لِ هِ) إلي المقاطع التي قبلها ، وهي (يكْ . خَا . تَفْ) وذلك لأن من يريد الوقف لا ينتظر بنطقه حتى ينتهي من جميع المقاطع ، بل يبتر غالبًا المقطع الأخير ، أو جزءًا منه ، من آخر كلمة في جملته ، وقد ترتب علي هذا تلك الظاهرة التي سماها القدماء الوقف بالسكون ، ففي الكلمات المنونة يحذف تنوينها ، والكلمات المحركة الآخر سواء أكانت تلك الحركة حركة إعراب أم بناء تحذف حركتها ، فالقبائل بصفة عامة تقف علي الكلمات الآتية : (خالدٌ . معلمٌ . ينزلُ) هكذا (خالدْ . معلمْ . ينزلْ) ونلحظ في حالة الوقف انتقال موضع النبر إلي المقطع الذي قبله في معظم الحالات . ([1]) "

ولا شك في أن انتقال موضع النبر بحيث يبعد عن الصوت الموقوف عليه مع حذف حركة ذلك الصوت من شأنه أن يضعفه ويخفيه . إلي حد كبير . عن الأسماع ، فنري مثلا أن الباء في (يكتب) قد وضحت بالحركة عليها ، كما لا ينكر أن الضغط علي المقطع السابق لها (التاء المضمومة) كان له أثره في هذا الوضوح . فإذا ما وقف علي الباء بتسكينها ضعفت لسلب حركتها ، وزاد من خفائها قلة ظهور التاء السابقة لها لانتقال النبر إلي المقطع السابق (يكْ) .

وإذا كان العربي يميل إلي تسكين الصوت الموقوف عليه ، فهو في الوقت نفسه لا يرضي خفاء هذا الصوت . فحرص العرب علي الدلالة أداهم إلي العناية بنطق الوحدة الصوتية أيّا كان موقعها من الصيغة ، فإذا كان الصوت يضعف في موقعية النهاية نظرًا لما تقدم من أن الوقف يسلبه الحركة ويؤدي إلي انتقال النبر

---

[1]) في اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

من مقطعه إلي المقطع السابق له في كثير من الحالات ، فإنهم لجئوا إلي طرائق عديدة من شأنها إظهار ذلك الصوت لئلا يتسبب خفاؤه في غموض المعني الذي تتضمنه الصيغة لفظًا وجملة .

طرائق إظهار الصوت الموقوف عليه بالسكون :

لقد كان من هذه الطرائق علي صعيد اللهجات العربية تضعيف الصوت الموقوف عليه نحو قولهم في الوقف : خالدّ ، أو نقل الحركة نحو : الصَّبُرْ ، وكذلك وقف بعضهم علي الكلمات المنونة بحركة من جنس حركة آخر الكلمة نحو قولهم : جاء خالدو ، ورأيت خالدا ، ومررت بخالدي ... إلي غير ذلك مما سوف يتناوله البحث في موضعه إن شاء الله تعالي .

ويعنينا هاهنا ما يتعلق من ذلك باللغة الفصحي ، فقد كانت طرائق أداء الصوت الساكن الموقوف عليه في الفصحي من شأنها أن تزيل ما سببه الوقف من خفاء الصوت دونما حاجة إلي تحريكه . وقد أوضح ابن جني ذلك إذ يقول : " فقد نجد من الحروف ما يتبعه في الوقف صوت ، وهو مع ذلك ساكن . وهو الفاء ، والتاء ، والسين ، والصاد ، ونحو ذلك ، تقول في الوقف : أفْ ، أ تْ ، أ سْ ، أ صْ . قيل : هذا القدر من الصوت إنما هو متمم للحرف وموفٍّ له في الوقف ، فإذا وصلت ذهب أو كاد ، وإنما لحقه في الوقف لأن الوقف يضعف الحرف ، ألا تراك تحتاج إلي بيانه فيه بالهاء نحو : واغلاماه ، ووازيداه ، وواغلامهيه ، وذلك أنك لما أردت تمكين الصوت وتوفيته ليمتد ويقوي في السمع ، وكان الوقف يضعف الحرف ألحقت الهاء ليقع الحرف قبلها حشوًا فيبين ولا يخفي . ([1]) "

---

[1])الخصائص ٣٣٠/٢

لقد اتضح في ذهن ابن جني ما يحدثه الوقف من إضعاف للصوت الموقوف عليه ؛ إذ يسلبه الحركة ، وقد رأي أن هذا الصوت إما أن يكون من الصوائت الطويلة أو الصوامت . فإن كان من الصوائت الطويلة فإن بيانه في الوقف إنما يكون بأن تلحقه هاء السكت ؛ إذ إن هذا الصائت يزيد وضوحه إذا قدر له أن يمد ، وذلك حالة إذا لحقته هاء السكت ، وقد أوضح ابن جنى ذلك قال : " فإن قيل : ولِمَ لَمْ يتمكن حال المد إلا أن يجاور الطرف ، قيل : إنما جيء بالمد في هذه المواضع لنغمته وللين الصوت به ، وذلك أن آخر الكلمة موضع الوقف ومكان الاستراحة والأون ، فقدموا أمام الحرف الموقوف عليه ما يؤذن بسكونه وما يخفض من غلواء الناطق واستمراره علي سنن جريه وتتابع نطقه . لذلك كثرت حروف المد قبل الروي ، كالتأسيس والردف ؛ ليكون ذلك مؤذنًا بالوقوف ومؤديًا إلي الراحة والسكون . ([1]) "

فمجيء الهاء ساكنة بعد الحركة الطويلة في الوقف نحو : واغلاماه ووزايده وواغلامهيه من شأنه أن يزيد وضوح هذه الحركات عما إذا كان الوقف عليها دون شيء . ولا ينبغي أن يفهم مما سبق أن عدم إلحاق هاء السكت بعد الحركات الطويلة عند الوقف عليها يخفي هذه الحركات ؛ إذ إنها تمد مدًا طبيعيًا " وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونة .([2]) " و نري ذلك كثيرًا في القرآن الكريم عند الوقف علي المنون المنصوب ؛ إذ يوقف عليه بالألف من غير هاء بعدها نحو : (سميعا . بصيرا . خبيرا ... إلخ) .

وإذا كان الصوت الموقوف عليه صامتًا فإن ابن جني يري أن الوقف إذ أضعف هذا الصامت بسلب حركته ، فإنه في الوقف نفسه يلحق به صوت أو علي نحو تعبيره في مواضع أخري (صويت) ([3]) يعوضه ما فقده من الحركة

---

[1]) الخصائص ٢٣٣/١ .
[2]) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد د/ غانم قدوري الحمد ص ٥٢٤ .
[3]) ينظر في ذلك : الخصائص ٥٨/١ ، ٢٧٩/٣ ، سر صناعة الإعراب ص ٧ .

عندما وقف عليه بالسكون ، فكان هذا الصويت كما ذكر ابن جني في نصه " متمم للحرف وموفٍّ له في الوقف . "

وقد أضاف ابن جني ما يوضح المقصود من هذا الصويت اللاحق بالصوامت عند الوقف وذلك حين قال : " وذلك أن الحرف الساكن ليس حاله إذا أدرجته كحاله لو وقفت عليه ، وذلك لأن من الحروف حروفًا إذا وقفت عليها لحقها صويت ما من بعدها، فإذا أدرجتها إلي ما بعدها ضعف ذلك الصويت وتضاءل للحس نحو قولك : أ ح ، أص ، أ ت ، أ ف ، أك ، فإذا قلت : يحْرد، ويصبر ، ويسلم ، ويثرد ، ويفتح ، ويخرج ، خفي ذلك الصويت وقل وخف ما كان له من الجرس عند الوقف عليه ... ونحو من هذا ما يحكي أن رجلا من العرب بايع أن يشرب علبة لبن ولا يتنحنح ، فلما شرب بعضه كدَّه الأمر ، فقال : كبش أملح . فقيل له : ما هذا ، تنحنحت ، فقال : من تنحنح فلا أفلح ، فنطق بالحاءات كلها سواكن غير متحركة ، ليكون ما يتبعها من ذلك الصويت عونًا له علي ما كده وتكاءده . ([1]) "

ويتبادر إلي الذهن عند تأمل تلك النادرة التي ذكرها ابن جني أن ذلك الصويت إنما يقصد به جريان الصوت الموقوف عليه تمامًا كما جري صوت الحاء عندما وقف عليه الأعرابي في قوله : (كبش أملح) . فيظن بذلك أن المقصود بهذه الحروف التي إذا وقف عليها لحقتها صويت هى الأصوات الرخوة ، تلك التي يجري الناطق فيها الصوت إن شاء ([2]) ؛ إذ " لا ينحبس الهواء انحباسًا محكمًا ، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه عند المخرج ضيقًا جدًا ، ويترتب علي ضيق المجري أن النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعًا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعًا لنسبة ضيق المجري . ([3]) " وينطبق ذلك علي صوت الحاء ، فعند النطق به يضيق المجري الهوائي في الفراغ الحلقي ، بحيث يحدث

---

[1]) الخصائص ٥٨/١ .
[2]) ينظر : الكتاب ٤٣٥/٤ ، سر صناعة الإعراب ص ٦١ .
[3]) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص ٢٤ .